***Dirasat***: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 5, Supplement 1, 2023

Deanship of Scientific Research

# The Concept of "Dualism of Place" in the Novel "Asilah" by the Egyptian Novelist Jamil Attia Ibrahim

***Hafieza Mohammed Mahmoud*** [1 *], ***Omayma Alrawashdeh*** [2], ***Sawsan Badrakhan*** [2]

[1] Department of Arabic language and Literature, Faculty of Arts and Educational Sciences, Middle East University, Amman, Jordan,

[2] Department of Social and Human Sciences, Faculty of Arts and Sciences, Al- Ahliyya Amman University, Amman, Jordan.

Received: 3/4/2022
Revised: 14/8/2022
Accepted: 14/11/2022
Published: 30/10/2023

* *Corresponding author:*
hafeezaahmad@meu.edu.jo

Citation: Mahmoud , H. M. ., Alrawashdeh, O. ., & Badrakhan, S. . (2023). The Concept of "Dualism of Place" in the Novel "Asilah" by the Egyptian Novelist Jamil Attia Ibrahim. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 50(5), 533–546. https://doi.org/10.35516/hum.v50i5.957

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**Abstract**

**Objectives**: This research aims to define the concept of "dualism of place", and to reveal manifestations of the duality of place in the novel of “Asilah”, especially the duality of domestic and non-domestic places (the hostile) as it plays a crucial role in this novel.

**Methods**: The research adopted a descriptive-analytical approach, as it described and analyzed the duality of place in the novel Asilah and explored its semantic aspects. It adopted the theoretical concepts of Gaston Bachelard about the place, to show the nature of the relationship and interaction between the narrator and the main character and place in the novel.

**Results**: The findings of this research demonstrated that place in the novel occupied a prominent position in the novel itself and its components as shown in the novel understudy; the city of Asilah was the main topic in the novel. Due to this fact, this novel can be considered as a spatial novel par excellence. The place in the novel was clearly highlighted to address the civilized and cultural encounter between the East and the West.

**Conclusions**: The spatial dualism can be seen clearly in the novel and in the duality of the hostile place and the familiar place which all together formed the basis for presenting the writer’s vision toward the world.

**Keywords**: The duality of the place, Jamil Attia Ibrahim, the novel "Asilah", familiar place, non-familiar place.

# ثنائية المكان في رواية "أصيلا" للروائي المصريّ جميل عطيّة إبراهيم

***حفيظة محمد محمود*** [1*]، ***أميمة الرواشدة*** [2]، ***سوسن بدرخان*** [2]

[1] قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم التربوية، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن.

[2] قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمان الأهلية، عمان، الأردن.

**ملخّص**

تناول البحث موضوع "ثنائية المكان" في رواية " أصيلا" للروائي المصري جميل عطية إبراهيم، من خلال الكشف عن طبيعة العلاقة بين الرّاوي والشّخصية الرّوائية المحوريّة والمكان الرّوائي، ودورها في تكوين المغزى/ الفضاء الروائي، وذلك عن طريق تحليل ثنائيّة المكان التي توجّه مساره الدلالي.

**الأهداف**: يهدف البحث إلى تحديد مفهوم "ثنائيّة المكان"، والكشف عن تجلّيات ثنائيّة المكان في رواية "أصيلا"، لاسيما ثنائيّة المكان الأليف والمكان غير الأليف (المعادي)؛ لما لهذه الثّنائيّة من دور كبير في هذه الرّواية.

**المنهجية**: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، فهو يرصد ويصف ويحلّل ثنائيّة المكان في رواية "أصيلا"، ويستكشف جوانبها الدلالية، وذلك من خلال الاستعانة بالمفاهيم النظرية لغاستون باشلار حول المكان، لبيان طبيعة العلاقة القائمة بين الرّاوي والشّخصية الرّوائيّة المحوريّة والمكان الرّوائيّ.

**النتائج**: من أهم ما توصل إليه البحث هو أن المكان الرّوائيّ في الرواية شغل حيّزًا بارزًا في عتبات الرّواية وفي متنها الرّوائيّ؛ حيث كانت مدينة "أصيلة" البطل الرئيس في الرواية؛ مما يجعلنا نعدّها روايةتحتفي بالمكان بامتياز، وأن المكان الرّوائيّ تجلّى في الرّواية لمعالجة اللقاء الحضاريّ والثّقافيّ بين المشرق والمغرب .

**الخلاصة**: برزت الثّنائيّة المكانيّة في الرّواية بوضوح في ثنائيّة المكان المعادي والمكان الأليف التي شكّلت مرتكزا مهما في تقديم رؤية الكاتب وموقفه من العالم.

**الكلمات الدالة:** ثنائيّة المكان، جميل عطيّة إبراهيم، رواية "أصيلا"، المكان الأليف، المكان غير الأليف.

**المقدمة:**

يرتبط المكان دائمًا بأهمّ القضايا الوجوديّة بالنسبة للإنسان، فالعلاقة بينهما تشارطيّة، فلا وجود للإنسان دون مكانٍ يحتويه ويحتضنه، يبعث فيه الإحساس بالأمان والاستقرار، ويحقق من خلاله ذاته ويؤصّل هويّته ويعمّق جذوره الحضاريّة، ولا قيمة للمكان دون كيان بشريّ يمارس فيه أو عليه طقوسه الحياتية بمختلف أشكالها.

على هذا الأساس، يُعدّ المكان "بنية تعبّر عن الوجود الإنساني، فاهتمام الإنسان به نابع من حاجته إلى إدراك العلاقات الحيوية في بيئته، وإلى أن يُضفي معنىً ونظامًا إلى عالم من الوقائع والنشاطات الحيويّة"(شولز،1996).

إن اهتمام الإنسان بالمكان، أدّى إلى أن يكون مظهرًا من مظاهر الفكر الإنساني، يمثّلُ لكل الذين يتعاملون معه أدبا وفنًّا وإبداعا. ولكن الأدب يُعدّ من أكثر المظاهر الفكرية التي اعتنت بالمكان، وعبرت عن علاقة الإنسان به، "لأنّ الأدب هو الأصل في التفكير، وفي الخيال، وفي التصوير، وفي كثير من مظاهر الإبداع؛ فكان هو المجال الذي يتبنّى فيه الحيّز ويتمكّن بامتياز"(مرتاض، 1998).

وقد تجلّى هذا الاهتمام في الأدب العربيّ منذ أن وقف الشعراء قديمًا على الأطلال ليبكوا الديار، ويتذكّروا الأهل والأحباب، مبدعين في رسم المشهد، ومستثمرين تفاصيل المكان ليصوغوا منه لوحات فنية مبدعة، لتستمر بعد ذلك علاقة الأدباء بالمكان، وتظهر في أشكال وأنواع أدبيّة مختلفة، حيث "برع المبدعون العرب في رسم الحيّز الأدبيّ منذ عهد المعلقات في زمن الجاهليّة، وجاء كتّاب المقامات وحُكاة الحكايات (ألف ليلة وليلة، ومقامات الهمذاني، ومقامات الحريري.... إلخ)، فحلّقوا تحليقًا عاليًا في رسم الحيّز الذي تضطرب فيه الحكاية أو المقامة؛ وتمثُل أحياز المقامات في الأسواق، والمطاعم، والمساجد، والطرقات، وساح المدن، وبعض الجبال والأماكن النائية عن مراكز الحضارة، ومواقع العمران" (مرتاض، 1998).

مع نشوء فن القصّة والرّواية، والتّطور الكبير الذي رافق ذلك في العصر الحديث، اتّخذ المكان أهميّة كبرى؛ فهو مكوّن رئيس من مكوّنات النّصوص السردية كلها، وعنصر مهم في بناء العوالم المُتخيّلة فيها. به يتحدّد الفضاء الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرك الشخصيات، عبر بنية سرديّة تتشابك فيها العلاقات، وتمتزج العناصر في انسجام مشروط بمدى إبداع الكاتب وقدرته.

في فن الرواية خاصة، أصبح المكان يشكل عنصرًا مركزيًّا "يستقطب جماع اهتمام الكاتب؛ وذلك لأن تعيين المكان في الرّواية هو البؤرة الضروريّة التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيّليّ" (بحراوي،1990)، فهو "يمثّل القاعدة الماديّة الأولى التي ينهض عليها النص، حدثًا، وشخصيّة، وزمنًا، والشّاشة المشهديّة العاكسة والمجسّدة لحركته وفاعليّته)" (العوفي، 1987).

هذا الترابط العضويّ القائم بين المكان وبقيّة العناصر الأخرى، المشكّلة للبنية السرديّة في الرّواية، هو الذي يمنحه هذه المكانة المهمة، التي جعلت النّقاد والدّارسين ينظرون إليه "بوصفه شبكة من العلاقات والرّؤيات ووجهات النّظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الرّوائيّ الذي ستجري فيه الأحداث. فالمكان يكون منظّمًا بنفس الدّقة التي نظّمت بها العناصر الأخرى في الرّواية؛ لذلك فهو يؤثّر فيها، ويقوّي من نفوذها، كما يعبّر عن مقاصد المؤلّف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحوّل حاسمة في الحبكة، وهكذا في تركيب السرد والمنحى الدّراميّ الذي يتّخذه. وبالنتيجة نفسها، فإن الأجزاء المكونة للنسيج الحكائي جميعها، يمكنها أن تخبرنا عن الكيفية التي نظّم بها الفضاء الرّوائي، وذلك أن المكان في الرواية، شديد الارتباط ليس فقط في وجهات النّظر، والأحداث والشخصيات، ولكن أيضًا بزمن القصة وبطائفة من القضايا الأسلوبيّة والسيكولوجيّة والتيماطيقيّة" (بحراوي، 1990).

بناء على ذلك، شهدت الدّراسات النّقدية الحديثة تطوّرًا في نظرتها للمكان الرّوائيّ، فلم تعد تنظر إليه مكانًا هندسيًّا جغرافيًّا، بل مكانًا ظاهراتيًّا محمّلًا بدلالات اجتماعيّة ونفسيّة وفكريّة متعدّدة، لوجود علاقة تأثيريّة تأثريّة بين المكان والإنسان، فالمكان، حسب "غاستون باشلار"، "الذي ينجذب نحوه الخيال، لا يمكن أن يبقى مكانًا لا مباليًا ذا أبعاد هندسيّة، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس على نحو موضوعي فقط، بل كل ما في الخيال من تحيّز"(باشلار، 1984).

ومن هذا المنطلق، وقف كثير من النّقاد والدّارسين للمكان الرّوائيّ، على ما أسموه "الثّنائيّات المكانيّة" أو"التّقاطبات الضدّيّة"، واتخذوها منطلقًا أساسيًا للكشف عن الفضاء الرّوائيّ؛ ذلك أن "تفاعل المكانيّة وتضادّها يشكلان بعدًا جماليًّا من أبعاد النّص الرّوائيّ" (نجمي، 2000).

من هنا جاءت فكرة بحثنا الموسوم: "ثنائيّة المكان في رواية "أصيلا" للكاتب الرّوائيّ المصريّ "جميل عطيّة إبراهيم" الذي يسعى إلى دراسة المكان في هذه الرّواية وفق الثّنائيّة المكانيّة.

**أسئلة البحث:**

1. ما المقصود بـ"ثنائيّة المكان"؟
2. أين تمظهرت وتجلّت ثنائيّة المكان في رواية " أصيلا"؟
3. ما طبيعة العلاقة بين الراوي والشّخصيّة الرّوائيّة والمكان الرّوائيّ؟
4. ما موقف جميل عطيّة إبراهيم من هذه الثّنائيّة كما ظهر في رواية "أصيلا"؟

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة السّابقة من خلال توضيح المقصود بـ"ثنائيّة المكان"، والكشف عن تمظهرات وتجلّيات ثنائيّة المكان في "رواية أصيلا"، التي وظّفها الكاتب "جميل عطيّة إبراهيم"، وبيان طبيعة العلاقة بين الراوي والشّخصيّة الرّوائية والمكان، وموقف الكاتب جميل عطيّة إبراهيم من هذه الثّنائيّة كما بدا في الرواية.

**أهميّة البحث:**

تكمن الأهميّة العلميّة لهذا البحث في كونه يُعنى بدراسة ثنائيّة المكان، وهي من المباحث التي أصبحت من المباحث المهمّة في دراسة المكان الرّوائيّ. وتم اختيار رواية "أصيلا" للكاتب الرّوائيّ المصريّ جميل عطيّة إبراهيم، لأنها تتضمن ثنائيّة مكانيّة تهيمن على ساحة الرّواية، فهي ثمرة تجربة حقيقية للكاتب مع مدينة أصيلة المغربيّة، التي قدم إليها من القاهرة عام 1961 مع البعثة التعليميّة المصريّة، التي جاءت إلى المغرب؛ ليعمل فيها أستاذًا للرياضيات، ثم غادرها بسبب الحرب الحدوديّة التي نشبت بين المغرب والجزائر، إذ وقفت مصر في تلك الفترة إلى جانب الجزائر، وكان من نتائج ذلك ترحيل أعضاء البعثة التعليميّة المصريّة في نوفمبر 1963. ويبدو أن الكاتب جميل عطيّة إبراهيم قد تأثّر في تجربة الحياة في المغرب، فكان أن سجّلها في روايته الأولى هذه، التي كتبها عام 1966 حسب ماجاء في الصفحة النهائية للرواية، وإن كان لم ينشرها إلا عام 1980.

وبما أن جميل عطيّة إبراهيم قد عاش سنتين أو أكثر في مدينة أصيلة المغربيّة وحيدا بعيدا عن وطنه مصر وأهله، فإنه يبدو أن غربته في مدينة "أصيلة"، قد أثّرت فيه على نحو مباشر، فكان أن كتب هذه الرواية محفوفة بدلالات مكانية، نتجت عن تسلّط "الثّنائيّة" على المكان الروائي، منها: (المشرق والمغرب) و(الانتماء والغربة) و(الألفة والنفور). ومن هنا كان سبب اختيارنا لدراسة "الثّنائيّة المكانيّة" في هذه الرّواية.

**منهج البحث:**

يعتمد البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ، حيث حاول أن يصبّ اهتمامه حول ثنائيّة المكان، فهو يرصد ويصف ويحلّل ثنائيّة المكان في رواية "أصيلا"، ويستكشف جوانبها الدّلاليّة، وذلك من خلال الاستعانة بالمفاهيم النّظرية لغاستون باشلار حول المكان، لبيان طبيعة العلاقة والتّفاعل القائم بين الراوي والشخصية والمكان.

**الدراسات السابقة:**

تشير الدّراسات السّابقة إلى أن "غاستون باشلار" من الأوائل الذين تطرقوا إلى موضوع "ثنائية المكان"، وذلك في كتابه "جماليات المكان"، الذي أكد فيه على ضرورة إبراز العلاقة بين المكان، بعدّه ظاهرة لها وجودها المستقل، وبين الذات، من خلال دراسة الصور الفنية المكانية (باشلار، 1984). وقد اعتمد في دراسته للمكان على المنهج الظاهراتي، فهو يرى أنه لا يوجد موضوع دون ذات، فالخيال بالنسبة للمكان، يلغي موضوعية الظاهرة المكانية، ويعطي للحياة النفسية دورا في الإبداع الروائي (زورة،2018)؛ لذا، فهو يركز على علاقة الشخصيات الروائية بالأمكنة الروائية، وما تبعثه من مشاعر وأحاسيس تختلط بدلالات ومعانٍ مرتبطة باللاوعي للشخصية الروائية، فالمكان الروائي عند "باشلار" لا يؤثر في الشخصية الروائية حسب، وإنما يعكس حالتها النفسية في المكان الموجودة فيه (عفيف و زموري، 2019). كما يؤكّد "باشلار" أن كل ما يعرفه الإنسان ما هو إلا تثبيتات متتابعة في مكان استقرار الإنسان، ذلك أن الإنسان حينما يتذكّر حياته الماضية، ويستحضر مشهدًا منها، يرى غرفة أو شارعًا أو مقهى أو مدينة، أي أنه يرى مكان وقوع هذا المشهد في الماضي(باشلار، 1984). وهكذا، يصبح المكان عنصرًا مهمًا من عناصر الرواية، يستطيع الرّوائي من خلاله أن يعبّر عن موقف الشخصيات الرّوائيّة من عالم الروايّة؛ حيث يساعد ذلك على خلق معانٍ متعددة.

اهتم "باشلار" بدراسة ما أسماه المكان الأليف، ولم يُعر المكان غير الأليف، مكان النفور والكراهية اهتماما؛ لأنه يرى فيه الالتهاب الانفعالي، لذلك انطلق في دراساته التطبيقية لثنائية المكان من البيت، بعدّه الجذر الأول للأمكنة الأليفة، فدرس جدلية الداخل والخارج، وعارض بين القبو والعلية، وبين البيت واللابيت، وبين الانغلاق والانفتاح، وأبرز علاقة ذلك كله بالشخصية (باشلار، 1984).

من الذين أبدوا اهتمامًا واسعًا كذلك بثنائية المكان "يوري لوتمان"، حيث أشار في دراسته "مشكلة المكان الفني"، إلى العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان بقوله: "إن المكان حقيقة معاشة، ويؤثّر في البشر بنفس القدر الذي يؤثّرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبيّ، ويحمل المكان في طيّاته قيما تنتج من التنظيم المعماريّ، كما تنتج من التّوظيف الاجتماعي، فيفرض كل مكان سلوكًا خاصًا على الناس الذين يلجأون إليه، والطّريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات" (قاسم، 1976).

تناول في هذه الدراسة "مجموعة من المفاهيم المتضادّة التي تشكل في ما بينها أواصر تقوي من علاقة الإنسان وارتباطه بدائيًا بالمحيط الذي يعيش فيه، وتمدّهُ بمفاهيم وقيم تعينه على التّحدث عن ظواهر تبعد من حيث طبيعتها عن الأحداثيّات المكانية الفيزيقيّة: ظواهر أخلاقيذة (سمو – دنو)، أو اجتماعيذة (رفيع – وضيع)، أو نفسيّة (صغير النفس - كبير النفس) وغيرها من الظواهر" (هياس، 2010).

وقد مهدت دراستا "باشلار" و"لوتمان" الطريق أمام الّدراسات النقديّة الحديثة التي تلتهما، وتحدثت عن الثّنائيّة المكانية، وراح كثير من الباحثين والدّارسين يتتبّعون الثّنائيّة المكانيّة في أعمال أدبيّة متنوّعة من شعر ونثر. ومن هذه الدّراسات -على سبيل المثال لا الحصر-:

1. دراسة " التقاطب والتنافر/ التماثل والتناظر قراءة في رواية " ديك الشمال" لمحمد الهرادي، المنشورة في مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، مجلد 4، العدد 5، 2009.

2. دراسة "الثنائية الضدية في قصص حيدر حيدر: ثنائية المكان المغلق / المكان المفتوح(أنموذجًا)، للباحثين: عيد محمود وفيروز عباس، المنشورة في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سوريا، مجلد 32، العدد 1، عام 2010.

3. دراسة "التقاطب المكانيّ في قصائد محمود درويش الحديثة" للباحثتين: رقية رستم بور ملكي، و فاطمة شيرز، المنشورة في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانية بالتعاون مع جامعة تشرين السورية، مجلد 3، العدد 9، عام 2012.

4. دراسة "ثنائية المكان في شعر محمود درويش" للباحث محمد عبد الرضا شياع، المنشورة في "الحوار المتمدن"، العدد: 3741، 2012 / 5 / 28.

5. دراسة "علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح وتشكيل الفضاء الروائي؛ حامل الوردة الأرجوانية نموذجا" للباحثين: حجت رسولى وزهرا دهان، المنشورة في مجلة إضاءات نقدية، السنة الثامنة، العدد 31،عام 2018.

6. دراسة "التقاطب المكاني في رواية (أولاد اليهودية)، للباحثة سلوى جرجيس سلمان، المنشورة في مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العراق، مجلد 2، العدد 34، عم 2018.

7. دراسة "ثنائية الأمكنة المغلقة في شعر محمد عفيفي مطر: دراسة سردية في البيت والسجن نموذجا، للباحثين: شهريار همتي و حامد بورحشمتي، المنشورة في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانية بالتعاون مع جامعة تشرين السورية، السنة التاسعة، العدد 28، عام 2019.

8. دراسة " ثنائية المكان في رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم"، للباحثتين: سلمى لعماري وسعاد لقليظ، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة/الجزائر، عام 2020/2019.

9. دراسة "التقاطب المكاني في رواية طيور أيلول لإميلي نصر الله"، للباحثات رقية رستم وزهراء فريد وزهراء الحسيني، المنشورة في مجلة دراسات في السردانية العربية، جامعة الخوارزمي بالتعاون مع الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، المجلد 1، العدد 2، 2020.

10. دراسة "ثنائية المكان في رواية المهجر وأثرها في البناء السردي: الكاتبان ليلي أبو العلا وأمير تاج السر نموذجًا"، للباحث صابر جمعة بابكر، المنشورة في "كليك برس" الإلكترونية، https://clicktopress.com، 2020/2/20.

11. دراسة "فضاء التقاطبات في مسرحية "الحلم التّارقي" لعز الدين مهوبي – قراءة في إطار الدراسات السيميائية، للباحثة سعدية بنت ستيتي، المنشورة في مجلة معارف، جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، الجزائر، مجلد 12، العدد 22.

12. دراسة التقاطب المكاني ودلالاته في رواية "أصابع الاتهام" لجميلة زنير، للباحثة فوزية نقار، المنشورة في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، مجلد 13، العدد3، 2021.

وهناك غيرها العديد من الدّراسات التطبيقيّة الحديثة التي تناولت ثنائيّة المكان في أعمال أدبيّة متنوّعة، ولكن لم يقع بين أيدينا دراسة تطرّقت لثنائيّة المكان في رواية "أصيلا" لجميل عطيّة إبراهيم، بل لم نجد أيّ دراسة تناولت هذه الرّواية بالبحث والتّحليل، على الرغم من أنها الرواية الأولى لجميل عطيّة إبراهيم، ما عدا ما كتبه "محمد أنقار" في مقالته "التّصوير المفارق في رواية "نخلة على الحافة" لجميل عطيّة إبراهيم"، ويتضح من عنوان المقالة أن محمد أنقار يتناول رواية أخرى للكاتب، ولكنه أشار فيها إلى رواية "أصيلا" مبيّنا أن أسلوب التّصوير المفارق هو أسلوب الكاتب في معظم رواياته بداية من روايته الأولى "أصيلا"، ومنتقدًا موقف جميل عطيّة إبراهيم السّلبيّ من مدينة "أصيلة"(أنقار، 2017).

من الأمانة العلمية أن نذكر، هنا، أن هناك كتابا عنوانه" الرّؤى والتّشكيل الرّوائيّ لدى جميل عطيّة إبراهيم" لمؤلفه علاء الدين سعد جاويش، ولكن لم نستطع العثور عليه. ولهذا فإن بحثنا الحالي، الذي يتناول "ثنائيّة المكان" في رواية "أصيلا"، يتسم بالجدّيّة في هذا الموضوع.

**التعريف برواية "أصيلا" للكاتب الروائي جميل عطية إبراهيم:**

تعّد رواية" أصيلا" أول رواية كتبها "جميل عطيّة إبراهيم، وقد صدرت عن وزارة الثّقافة والإرشاد القومي في دمشق عام 1980. ويصوّر الكاتب الرّوائيّ فيها عصارة تجربته في المغرب، حيث درّس في ثانوية الإمام الأصيلي بمدينة "أصيلة".

تُظهر رواية "أصيلا" حالة الانشطار النّفسيّ أو الانقسام الرّوحيّ التي تعيشها شخصيّة البطل "عادل"، أستاذ الرياضيات، بين مدينة "القاهرة" حيث خطيبته "سامية" مهدّدة ببتر ساقها، وبين مدينة "أصيلة" حيث الأجواء فيها فاسدة، والأحوال ليست على ما يرام، والحرب الحدوديّة قائمة بين المغرب والجزائر، وقد كان الراوي العليم/ الكاتب ينتقل في قصّه بكل حرية وينطلق من مدينة "أصيلة" إلى مدينة "القاهرة"، ومن مدينة "القاهرة"، إلى مدينة "أصيلة"؛ ليروي تفاصيل يوم واحد، وهو يوم الجمعة في مكانين متباعدين، وتنتهي الرواية بترحيل "عادل" مع البعثة التّعليميّة المصريّة عن المغرب؛ بسبب وقوف بلده مصر إلى صفّ الجزائر في هذه الحرب الحدوديّة. وتمثّل هذه الحرب الحدوديّة موتيفًا أساسيًّا من الموتيفات التي يبني "جميل عطيّة إبراهيم" منها عالمه الرّوائيّ، وتبدو الشّخصيّات المغاربيّة جميعها في الرّواية رافضة لهذه الحرب المفروضة عليهم من السّلطة الجديدة؛ بوصفها حربًا بين إخوة

مسلمين، فهذه الخادمة تتساءل: " فمن هم الأعداء؟... الجزائريّون! حاشا. هم قوم كمّل، يعرفون الله و رسوله"(الرّواية، ص105).

هذا الضّابط الذي يعمل في الجيش يحدّث نفسه قائلا: "يا زمن العبث، هل تقاتل بشجاعة لنجعل عدد قتلاهم يزيد عن المليون قتيل، هل أحارب كي يزيد الرقم بضع مئات من القتلى"(الرواية، ص49).

ويقول "الحساني"، الذي ناضل سابقا من أجل التحرير والاستقلال أن هذه الحرب: "معركة وهميّة.. ياولد الحرام.. خدعونا خدعونا.. "(الرواية، ص76).

تتضمن الرواية حكايات متوازية ومتداخلة أخرى غير حكاية "عادل" المدرس المصريّ في مدينة "أصيلة" وخطيبته "سامية" المهدّدة بقطع ساقها في مصر، فهي تتحدث عن شخصيات متعددة: مغربيّة، وإسبانيّة، وإنجليزيّة، فالرّواية تعتمد في بنائها السّردي على أسلوب التّوازي الحكائيّ، وتقطيع الرّواية إلى عدّة مشاهد وحكايات متجاورة ومتداخلة في لحظة زمنيّة واحدة، كأنها لوحات سينمائيّة متحرّكة من خلال المونتاج. ومن هذه الحكايات حكاية "رقيّة" و"الحساني" المغربيين، التي جمعت بينهما قصة حب مبنيّة على حب الوطن وتحريره من براثن الإسبان والفرنسيين، بيد أن كل ذلك الحب يفشل بعد أن فشلت السّلطة الجديدة، بتحقيق العدالة الاجتماعيّة التي نادت بها الثّورة. ولقد انتهت علاقة الحساني برقيّة بخيبة الأمل واستحالة العودة، فتسقط رقيّة في مستنقع العهر والدعارة، بعد أن كانت مناضلة، لإعالة أسرتها و إخوتها الصغار، أما الحساني فينغمس في الشّرب والسّكر، بعد أن كان من المناضلين، لإحساسه بالعجز عن فعل التّغيير إلى أن ينهي حياته بيده منتحرًا.

تحكي الرّواية كذلك عن ذلك المغربيّ العسكريّ الذي جاء إلى أصيلة ليختلس لحظة متعة مع "آسيا" المرأة العاهرة، التي كانت تعمل في مصنع الحلفا، وعندما أُغلق تبنّتها زهرة القوّادة العجوز، فها هو يخاطب نفسه قائلا: "يا أصيلة، أيتها المدينة الصغيرة النائمة قرب البحر، يبدو أن إقامتنا سوف تطيب، وتحلو لياليا بفضل هذه المرأة. آه. هذه الأحلام لعنة الله عليها، إنني أطمع في ليلة واحدة... أدغدغ هذا الجسد البضّ.. لم تكن بي قدرة في شبابي على اصطياد النساء من الزّنقة، لكن هذه السّاعة لن تمنعني قوة الأرض عن مضاجعتها... " (الرواية، ص48و49).

كذلك تتحدّث الرّواية عن "سميث" الإنجليزيّ الذي يصطحب معه الفتيان الصغار من المغاربة ليمارس معهم الشذوذ الجنسيّ، وعن الأحدب الإسبانيّ السنيور "خوان" الذي يعمل في محطة أتوبيس شركة الستيام، الذي يعرف خبايا أصيلة و أسرارها، كان يلتقي "رقيّة" وغيرها من نساء أصيلة خلسة بعيدًا عن أعين الناس، يقول ساخرًا من أهل أصيلة: "و في يوم ما يا أصيلة سوف تعرفين الحقيقة، و سوف يعرف هؤلاء الذين يسيرون في كبرياء و صلف، كم من نساء الأشراف ضاجعت.... أما أنت يا خالدي، فعن قريب أنقذ شرفك، أبعد الفضيحة عنك، لترفع رأسك بين الرجال، إنني أعرف رغبتك في ذكر يرث المتجر والأرض والبهائم، و بعد أسابيع قليلة أعبّئ لك كرش للامنانة، لكنني لا أضمن لك أن أزرع في أحشائها ذكرًا، ولد، بنت، لا أدري يا خالدي"(الرواية، ص42و52). و"الخالدي" الفاسيّ هذا تاجر كان خائنا لوطنه أيام الاحتلال، ويتحكم في الخلق بسبب ثرائه وغناه، وهو انتهازيّ يغتنم فرص الحرب لتهريب صفقاته التجارية المشبوهة، وزوجته هي "للامنانة"، التي تتمنّى إنجاب صبيّ بعد أن أنجبت منه ابنتها خديجة منذ ثلاث عشرة سنة، ولكن ما يشاع في مدينة أصيلة بأنه أصيب بالعقم بعد العمليّة الجراحيّة التي أجريت له في بطنه، يضطرها لخيانته مع السنيور "خوان" لتحقيق أمنيتها التي هي أمنية زوجها أيضا.

على الرغم من تركيز الرواية على الصور الاجتماعيّة والسياسيّة السلبيّة في أصيلة، فإن النّص يحمل في ثناياه تباشير أمل في التّغيير، تتمثّل في الجيل الجديد جيل الطّلبة والشّباب (السوسيّ، والمحمديّ، وسي محمد)، هذا الجيل كان مستاءً من غرق أصيلة في مستنقع العهر والفساد والفقر والجهل، ومن هدوء النّاس واستكانتهم. ففي اللحظة التي تصوّر فيها الرّواية النّهاية البائسة لجيل المناضلين القدامى متمثّلة في انتحار الحساني، وترحيل المدرس المصريّ "عادل" عن مدينة "أصيلة" إلى بلده، نجدها تصوّر مجموعة من الشّباب كانوا يتجمّعون في غرفة مظلمة تطلّ على المقابر، وفي أيديهم أوراق وكتب ومناشير، ويتحدّثون عن الثّورة والحرب و الصّراع الطّبقيّ.

هكذا، نجد أن هذا التّداخل بين القصص والفضاءات في رواية "أصيلا"، نقل للمتلقّي دلالات تنغرس في حاضر مدينة "أصيلة" خاصة، وفي هموم المغرب عامة.

**التّعريف بالكاتب الرّوائيّ جميل عطيّة إبراهيم:**

يعدّ جميل عطيّة إبراهيم كاتبًا وقاصًا وروائيًا مصريا، وهو من رواد حركة أدباء السّتينيّات، ومن مؤسّسي مجلة (جاليري 68) الأدبية، التي احتضنت الإنتاج الأدبي لجيل السّتينيّات.

ولد في محافظة الجيزة بالقاهرة عام 1937، حصل على شهادات متعددة، حيث تخرّج من كلية التجارة بجامعة القاهرة عام 1961، ثم التحق بمعهد الفنون العربيّة؛ لتجويد مهارته في الكتابة الإبداعيّة، ثم التحق بأكاديميّة الفنون بمصر لدراسة الفن والموسيقى، ليفيد منهما في كتابة القصّة والرّواية، وحصل على الماجستير في تاريخ الفنّ (صحيفة الخليج، 2008).

عمل في مهن عدّة، حيث عمل كاتب حسابات في مصنع النّسيج في شبرا الخيمة، ودرّس الموسيقا للأطفال، كما عمل مدرّسا للرّياضيّات في مدارس مصر، ثم بمدرسة الإمام الأصيلي في مدينة "أصيلة" بالمغرب، حيث ذهب إليها مع البعثة التعليميّة المصريّة في بداية السّتينيّات، وبعد عودته من

المغرب عمل مفتشًا ماليًا وإداريًا في وزارة الشّباب، وبعد نشره لعدد من القصص انتقل إلى الثّقافة الجماهيريّة بفضل أساتذته: نجيب محفوظ، وسعد الدّين وهبة، ويعقوب الشاروني، وظل في الثّقافة الجماهيريّة حتى سفره إلى سويسرا عام 1979. وهناك، أي في سويسرا، عمل بالصّحافة المكتوبة والمرئيّة والمسموعة العربية (إيلاف،2020). فكان مراسلًا للإذاعة المصريّة، ولوكالة أنباء الشّرق الأوسط المصريّة، ثم عمل مترجمًا في المقرّ الأوربّي للأمم المتّحدة في مدينة جنيف السويسريّة، وكان يعدّ عميد الإعلاميين العرب لدى الأمم المتّحدة بجنيف(عبد الناصر،2020).

كتب القصّة والرّواية، مركزًا على الدور الاجتماعيّ للأدب، شأنه في ذلك شأن معظم أدباء جيل السّتينيّات، ومن أهم مجموعاته القصصيّة: أحاديث جانبيّة، والحداد يليق بالأصدقاء، أما من أهم رواياته فهي: أصيلا، التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث، والبحر ليس بملآن، والنزول إلى البحر، وثلاثيّته (52 و54 و1980) التي رصدت أحوال المجتمع المصري في تلك الفترة، وتعدّ من أفضل مائة رواية عربيّة في القرن العشرين طبقا لتصنيفات نقديذة وأدبيّة (القصاص،2020)، ونخلة على الحافة، وأوراق الإسكندريّة، وشهرزاد على بحيرة جنيف، والمسألة الهمجيّة، وخزانة الكلام. وله كتاب مشترك موجّه للأطفال بعنوان "صك المؤامرة وعد بلفور2-11-1917" بالاشتراك مع الكاتب صلاح عيسى (عبد الرحيم، 2020).

توفي جميل عطيّة إبراهيم في سويسرا في العاشر من نيسان عام 2020 عن عمر يناهز الرابعة والثمانين، وذلك بعد صراع مرير مع المرض امتد لأكثر من خمس سنوات.

**مفهوم "ثنائية المكان" في الرّواية:**

يعود الجذر اللّغويّ لكلمة "الثّنائيّة" إلى مادة "ثني"، التي تتناول معنىً يدور في فلك الرقم اثنين، ويدل على اثنين قد يجمعهما التّوالي أو التّباين. فقد جاء في معجم مقاييس اللغة أن: "ثنى، يثني هو تكرير شيء مرّتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين، كقولنا ثنيت الشيء ثنيًا" (ابن فارس، 1979).

في معجم المصطلحات اللّغويّة وردت "الثّنائيّة" بمعنى زوجين، وتطلق كلمة ثنائيذ على كل ما يكون ذا حدّين أو طرفين أو وترين(خليل،1995).

ويشير "كلود ليفي شتراوس" عالم الأنثروبولوجيا إلى أهمية الثّنائيّة في الحياة والأشياء والإنسان، حيث يرى أن "بناء الكون يتمثل في مجموعة من الثّنائيّات التي تبدو متعارضة، ولكنها متكاملة في الوقت نفسه، إذ لا يمكن أن يتم هذا التكامل إلا من خلال هذا التعارض، والحياة مبنيّة على أساس هذا التّكامل" (إبراهيم، 1980).

من هذا المبدأ الأساس، الذي يقول بأن بناء الكون أو العالم أو الحياة، إنما يتم عن طريق تعارض الثّنائيذات التي يتكون منها، انبثقت في نظرية الأدب فكرة "الثّنائيّة" أو ما يسميه بعض النقاد "التّقاطب"، حيث تُعرّف "الثّنائيّة" في نظريّة الأدب على أنها "تدلّ على علاقة محكمة بين الاثنين، وهي علاقة جدليّة اكتشفها "سوسير" لأول مرة بين الكلام واللغة، ثم وصلت إلى "فاولر" الذي يعتقد بمبدأ التّرابط بين مجموعة من العناصر الأدبيّة التي يمكن أن يشمل جميعها نصّ أدبيّ واحد" (إبراهيم،2016).

وقد رأت الدّراسات النقديّة الحديثة في "الثّنائيّة": "مبدأ ينشأ من العلاقات التّقابليّة والثّنائيّات الضّديّة التي تجمع المتناقضات بين الأشياء والموضوعات، فينشأ جرّاء هذا الصدام علاقات أخرى تتّسم بالتّوتر والتّنافر مُحمّلة بالطاقات المعرفيّة والدلاليّة، التي يمكن استثمارها في تحليل النّصوص الأدبيّة، خاصة بعد ملاحظة الحضور المكثّف لهذه الثّنائيّات على مستوى النّصوص الروائية" (نقار، 2020).

من هنا، اتّخذت الدّراسات المكانيّة من "الثّنائيّة" تقنية أو آليّة تستند إليها في تصنيف المكان ودراسة دلالاته؛ لأنها "أثبتت أهميّتها في الكشف عن دلالة الكثير من الأعمال الأدبيّة التي تعالج المكان، وتعدّ الأداة الرئيسة للكشف عن العلاقات التي تحكم الأمكنة وعناصرها" (ملكي وشيرز، 2012).

يمكن القول: إن "الثّنائيّة" مفهوم منهجي يستخدم لقراءة المكان الروائي ومقاربته، للكشف عن الدّلالات المتعدّدة في النّص الرّوائيّ؛ "لأنه بالتّضاد يمكن رؤية الأمكنة على حقيقتها، ومن ثم تتجلّى رؤية الأديب الاجتماعيّة والأيديولوجيّة والسياسيّة تجاه هذه الأماكن" (نقار، 2020).

وعليه، تتجلّى ثنائيّة المكان بثنائيّات ضدّيّة داخل النّص الرّوائيّ، وتضفي عليه دلالات روائية متنوعة، وغالبا ما تنشأ هذه الثّنائيّات الضّدّية بين مكانين في النص الروائي، "تجمع بين قوى أو عناصر متعارضة، بحيث تعبّر عن العلاقات والتّوترات التي تحدث عن اتصال الرّاوي أو الشّخصيّات بأماكن الأحداث" (بحراوي،1990)، وبذلك تعبّر الثّنائيّة المكانية عن فكر الشّخصيّة الرّوائيّة أو الرّاوي، فكل مكان له دلالة رهينة للشّخصيّة في تشكيلها للمكان وتعايشها معه، وأثره فيها وتأثّرها به (محمود وعباس،2010).

تُعرّف ثنائيّة المكان أيضا أنّها تقابل بين مستويين من مستويات عنصر المكان، وإظهار ما يختلج صدر الشّخصيذة الرّوائيّة من انفعالات في المكانين المتقابلين؛ إذ ينعكس ذلك بصورة واضحة على أداء الشّخصيّة؛ ويتم التّضادّ بين الأمكنة حسب توجهات الشّخصيّة الثقافيذة والتاريخيّة والنفسيّة؛ لأن الذات لا يمكن أن تتشكّل بعيدا عن انتمائها الجغرافيّ المعيش الذي يشكّل هويّتها ووجودها (الحمداني وعبوس،2014).

إن المكان الروائي على تعدّده يحمل رؤى وتصوّرات مختلفة من نص روائي إلى آخر، ويخضع لمبدأ الثّنائيّة القائمة على التّضاد، فمفهوم الثّنائية المكانيّة هو مفهوم قائم على الثّنائيات الضدية بين الأمكنة المجسّدة في النص الروائي من أجل إضفاء معانٍ متعددة ومتنوعة (حبيلة،2010).

بناء على ذلك، سوف يسير بحثنا في أثناء تناول ثنائيّة المكان التي تفرضها الحالة الاجتماعيّة والثقافيّة والنفسيّة للرّاوي العليم/ الكاتب، وشخصية الراوي المشارك "عادل" على مستوى رواية "أصيلا"، فالثنائية المكانية ستساعدنا على الكشف عن دلالات المكان في رواية "أصيلا".

**ثنائيّة المكان في رواية "أصيلا":**

**1. تجلّيات المكان في الرّواية:**

شغل المكان حيزًا بارزًا في رواية "أصيلا"، لا في افتتاحيتها، وفي ثنايا متنها حسب، بل ظهر في عتبات النص، فالعنوان يؤشّر إلى بؤرة الرّواية، و إبراز اسم المكان في عنوان الرواية له أهمّيته و دلالته، فهو يحدد للمتلقي، ومنذ اللحظة الأولى، الفضاء الروائي ومسرح الأحداث والوقائع، كما أنه يمنح للفضاء المديني "مدينة أصيلة" قيمته وموقعه الخاص به على مستوى الكتابة والتّلقي؛ فالعنوان يعدّ بمثابة علامة سيميوطيقية تؤدي وظيفة الاحتواء لمدلول النص(حمداوي،1997). إن إبراز الكاتب جميل عطيّة إبراهيم لاسم المكان في العنوان، يأتي من كون مدينة "أصيلة" هنا هي التي تُشكّل الشذخصيذة المحوريّة في هذا النصّ الرّوائيّ. وعليه، لزم إبرازه للمتلقّي في العنوان، وهو ما يشي هنا بأهميّة إبراز المكان، وهو المكون الفضائي المديني هنا، حتى على مستوى العنوان.

من عتبات النص أيضا، التي تعدّ بمثابة العلامة التي تنطوي على رسائل تختصّ بمضمون الخطاب الذي يدور حوله النصّ، الإهداء والتنويهان اللذان كتبهما الكاتب بوهما مقدمة أو مدخل للرواية. فقد جاء الإهداء ترجمة للعنوان: "إلى رائد الرّواية العربية، الأستاذ نجيب محفوظ، أهدي هذه الصّفحات، من وحي الأيام الجميلة في مدينة أصيلة على المحيط..."(الرّواية، ص5)، وهذا الإهداء يؤكّد أن الرّواية ما هي إلا ثمرة تجربة حقيقيّة للكاتب مع مدينة "أصيلة". أما التنويه الأول، فهو يعزّز واقعيّة الرواية، حيث نوّه فيه الكاتب بأن "الأمكنة الواردة في هذه الرّواية حقيقيّة"(الرواية،ص7). في حين جاء التنويه الثاني ليعرّف المتلقّي، و خصوصا المتلقّي المشرقيّ، بمدينة أصيلا (بالألف) أو أصيلة (بالتاء المربوطة) بأنها: "مدينة مغربيّة صغيرة بالقرب من طنجة، تطل على المحيط الأطلسيّ.. و الكلمة عن البربريّة.. و أصلها "أزلي" أي الحسناء"(الرواية، ص7). وفي هذه العتبات النصّية ما فيها من تشويق للمتلقّي للدخول إلى فضاء المتن الروائي و الاستمتاع بالمدينة الحسناء.

كما أن آثار المكانة المميّزة للمكان ظهرت في متن رواية "أصيلا"، حيث برز المكان مكونًا فاعلًا ومؤثرًا في بناء أحداث الرّواية، وفي طبيعة الشّخصيات الرّوائيّة، وشكّل البؤرة المركزيّة التي تدعم الحكي ويقوم عليها، فالأحداث في رواية "أصيلا" وشخصيّاتها تتحرك في مكانين عربيين: المكان الأول: مغربيّ، وهو مدينة أصيلة، التي تدور أكثر من ثلثي أحداث الرّواية فيها. فمنذ الصفحة الأولى، يجد المتلقّي نفسه في صلب مدينة أصيلة، وشوارعها وأزقّتها، التي شكّلت الفضاء الرئيس لحركة الشّخصيّات الرّوائيذة وتنقّلاتها و هواجسها و تفكيرها. فمن ميدان سيدي محمد الخامس حيث محطّة أتوبيس شركة الستيام، إلى الجامع الكبير وإلى ضريح للاعائيشة وإلى زنقة سيدي عبد الرحمن وإلى الحمّام الشّعبي (البلدي) وإلى كازينو إسبانيا وإلى قهوة السحراوي وإلى السّوق وإلى مكتب البريد وإلى مبنى البوليس وإلى السينما وإلى المقبرة. كل تلك الأمكنة تمثّل دعّامات الرّواية، ومن أجوائها تنهض الحكاية ويتنامى القصّ.

أما المكان الثاني، فهو مشرقيّ، وتمثّله مدينة القاهرة حيث يجد المتلقّي نفسه يتنقّل مع الرّاوي وبعض الشّخصيّات الرّوائيّة من باب اللوق وعمارة الفلكي إلى مصر الجديدة و شوارعها الواسعة إلى الروضة.

إذًا، يمكن الحديث عن رواية تحتفي بالمكان، يتناوب السّرد فيها بين هذين المكانين، حيث يظهر الراوي العليم، الذي يتماهى تماما مع الكاتب ومع شخصية الراوي المشارك / البطل "عادل" أستاذ الرياضيات المصري، إذ لا فرق بينهم هنا، يتنقل في سرده بكل حرية انطلاقا من مدينة "أصيلة" المغربيّة إلى مدينة "القاهرة" المصريّة، ومن مدينة "القاهرة" المصرية إلى مدينة "أصيلة" المغربية، ليسرد تفاصيل حياتية في يوم واحد، وهو يوم الجمعة، وفي مكانين متباعدين يفصل بينهما آلاف الكيلو مترات، ووديان وصحارى وأنهار وبلدان، على حدّ تعبير شخصية البطل "عادل".

تبدو أهمية المكان واضحة في تشكيل الخطاب الروائي عندما "يعبّر عن نفسه، من خلال أشكال معينة، ويتّخذ معاني متعدّدة، بحيث تؤسّس أحيانا علّة وجود الأثر (بورنوف، وأوئيليه،1991). وبذلك يتجلّى المكان في رواية "أصيلا" لمعالجة موضوع الالتقاء الثقافي بين المشرق، المتمثل في مدينة "القاهرة"، والمغرب المتمثل في مدينة "أصيلة" في فترة السّتينيّات.

في حقيقة الأمر إن الالتقاء بين المشرق والمغرب العربيين واقعة متحقّقة تاريخيًّا، بل يمكن القول إنه أمر متواتر وطبيعي. وكان لا بد أن يكون من نتائج هذا الالتقاء، وانطلاقا من تجربة كل منهما، ونظرتهما إلى بعضهما، أن تتبلور صورة كل منهما في "وعيهم الآخر"، حسب تعبير المفكر "محمد عابد الجابري"(حنفي والجابري،1990)، وما تفرضه هذه الصورة من أساليب التعامل في ما بينهما.

لكن ما يعنينا في هذا البحث هو حين يكون هذا الالتقاء الثّقافي بين المشرق والمغرب موضوع العمل الروائي، أو مؤثّرًا بهذا الشكل أو ذاك فيه. إذ حاول بعض الروائيين أن يكتبوا في نصوصهم الروائية عن هذا الالتقاء الثّقافي بين المشرق والمغرب من خلال تجاربهم الذاتيّة، التي كانت حصيلة الاتّصال والمعايشة والاختلاط والعلاقات التي يقيّمونها، خاصة حين يكون هذا الالتقاء بسبب العمل أو الدّراسة أو النّفي، وهو الأمر الذي كان وراء تناول بعض الرّوائيين لهذه القضية في نصوصهم الرّوائيّة. ومن هؤلاء الكتّاب الرّوائيين، الذين تناولوا قضية الالتقاء الثقافي بين المشرق والمغرب، الكاتب الروائي "جميل عطّية إبراهيم"، في روايته الأولى "أصيلا"، التي تعد حصيلة اتّصاله بالمغرب بسبب عمله فيها. وقد استطاع "جميل عطية إبراهيم" من خلال روايته هذه أن يبيّن موقفه من هذا الالتقاء بين المشرق والمغرب.

في رواية "أصيلا" نجد "عادل" المصري، الشّخصيّة الرّوائيّة المحوريّة، وهو مدرس الرياضيات، قدم إلى مدينة "أصيلة" المغربية، ضمن البعثة

التعليميّة المصريّة التي أرسلت إلى المغرب في أوائل الستينيات؛ ليعلّم ويدرّس مادة الرياضيات للطلاب المغاربة في ثانوية الإمام الأصيلي. وقد كان المشرق عامة، ومصر خاصة، في تلك الفترة -أي فترة السّتينيّات- منارة العلم والثقافة بالنسبة للمغرب العربي، حيث كان أهل المغرب يرسلون أولادهم لتلقّي العلم هناك. واستطاعت الرواية أن تصوّر ذلك من خلال شخصيّات الرّواية المغربية، فالمعلّم "البقالي" المغربيّ الذي يعمل مع "عادل" المصريّ في ثانويّة الإمام الأصيلي، كان قد درس وتعلّم في القاهرة، "أخذ البقالي يتحدّث عن القاهرة بشوق، عن معيشته بحي شبرا،..." (الرواية، ص 53)، وأخوه الإدريسي يرسله والده إلى بغداد ليكمل تعليمه هناك، "... يفضّ الرسالة الواردة من سي إدريس الذي يدرس القانون في بغداد منذ عامين" (الرواية، ص13).

كما كان أهل المغرب يتلقّون العلم في بلادهم أيضا على أيدي معلّمين مشارقة كالمعلّم المصري "عادل"، ويكنّون لهم كل الاحترام. ففي رواية " أصيلا" عندما عَلِم الطلاب والطالبات بالأمر الذي صدر في حق المعلّم "عادل" وهو ترحيله من المغرب إلى مصر بسبب الاختلافات السياسية بين البلدين، "أقبلوا عليه في حماس. الفتيات ينشجن بصوت عالٍ، والتلاميذ يصرخون، وعلى مقربة منهم يقف أحد رجال الشرطة في صمت. وكان الظلام شديدًا، وموجة برد قارصة تلفح الوجوه. ودّعهم، وأخذ يهوّن الأمر عليهم، ويدعو لهم بالنجاح. كلماتهم صادقة، نابعة من القلوب، هؤلاء الصّغار لا يعرفون الكذب. اعتذر لهم عن قسوته عليهم، وتشدّده معهم. يحبهم. إنهم إخوته منحهم عصارة شبابه. درّسهم في إخلاص وحب، وبكى مثلهم... وزّع عليهم كتبه كلّها، وأوصاهم بالجدّ وكثرة القراءة، وأخذ يعدّ حقائبه أمامهم" (الرواية، ص 168/169).

كما أن الثّقافة المصرية كان يقبل عليها المغاربة من خلال الإذاعة والسينما، فقد جاء في رواية "أصيلا":

"كانت مجموعة من الشّبان تجلس في الكازينو تستمع إلى إذاعة القاهرة من مذياع صغير يحمله أحدهم بين يديه. قال البقالي: القاهرة تشنّف آذاننا،..." (الرواية، ص 24).

"اقترب عادل من لوحة الإعلانات الموضوعة على الأرض بجوار قهوة السّحراوي. فيلم عربي الليلة. تجمّع حوله صبيان المدرسة" (الرواية، ص 17).

"ثم توقّفن أمام لوحة الإعلانات بالقرب من قهوة السحراوي، يتفرّجن على إعلانات الفيلم العربي، ويتغامزن حول الممثّلات وهن يرتدين المايوه وسط الرجال" (الرواية، ص 39).

لقد تطرق جميل إبراهيم عطيّة في روايته "أصيلا" إلى هذا الالتقاء الثقافي بين المشرق والمغرب، الذي كان شاهدًا عليه، بل فاعلًا فيه. وقد استطاع أن يجسّد في روايته ثنائيّة "المشرق والمغرب"، التي أثبت فيها وقوف المشرق إلى جانب المغرب في فترة كان المشرق العربيّ مركز إشعاع علميّ وفنيّ وثقافيّ بالنسبة للمغربيّ، الذي كان يقبل على المشرق بحب وإعجاب؛ لينهل من موارده العلميّة والفنيّة والثقافيّة بنهم. كما أثبت دور المعلّمين المشارقة الوافدين إلى بلاد المغرب في الحركة التعليميّة المغربيّة، وتقدير أهل المغرب لهم.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف سيكون حال فضاء "عادل" الذي سيحلّق فيه؟ هل سيتقبّله بكل واقعه ويذوب فيه، ويصبح مكانًا أليفًا له ويتكيّف معه، أم يجد فيه مكانًا غير ملائم لاستقراره وغير أليف فلا يتكيّف معه؟

**2. ثنائية المكان الأليف والمكان غير الأليف:**

يشكّل المكان الأليف والمكان غير الأليف ثنائيّة مكانيّة لا يمكن تجاوزها في نص رواية "أصيلا"، فقد ألقت بظلالها على جميع مكونات الرذواية، بما في ذلك الشّخصيّة المحوريّة في علاقة التّأثر والتّأثير بالمكان.

فشخصيّة البطل "عادل"، على الرغم من تواجدها الجسديّ في مدينة "أصيلة" المغربيّة، فإنها بقيت مرتبطة روحيًا بموطنها الذي قدمت منه مصر، فقد جاء في الرواية: "الملل يملأ قلبه من المعيشة بمفرده في مدينة "أصيلة" بعيدًا عن أهله... " (الرواية، ص9).

"... وقف عادل في الشرفة يفكر في مشكلة الزمن بالنسبة إليه، يعيش في حاضر بعيد عنه،... تذكّر رسالتها التي تسلّمها أول أمس تخبره فيها بمرضها". (الرواية، ص 13،14).

"اقترب عادل من صندوق البريد، عيناه متعلّقتان بواجهة المربعة، يود اختراقها بنظراته. حياته معلّقة. الحنين إلى الأرض التي تربى عليها يقتله" (الرواية، ص22).

" عندما تقدّم له الخادمة الطعام ويروقه، يناديها: ماما، ويحدّثها عن أمه وإخوته وسامية" (الرواية، ص37).

تكمن القيمة الفعلية لهذه الثنائية، في رواية "أصيلا"؛ كونها نتجت عن الالتقاء الثقافي بين المشرق والمغرب، الممثلين بمدينتي "القاهرة" و"أصيلة". وبما أن الثّنائيّات المكانيّة غالبا ما تُشكّل نوعا من التّضاد الفعليّ، فقد استطاع الكاتب الرّوائيّ أن يرسم المكان في روايته في دائرتين تقعان في موقع الضدّ من بعضهما؛ إذ كانت مدينة "أصيلة" المغربيّة هي الموطن الجديد الذي احتضنت "عادل" عندما جاء إليها مع البعثة التعليميّة المصريّة؛ ليعمل فيها مدرّسا، ومن خلال مكوثه في مدينة "أصيلة" مدة عامين أو أكثر، كان لا بدّ أن تكون له رؤية خاصة تجاه مجتمع أصيلة المغربيّ، الذي بدا غريبا عنه، ومختلفًا، في الوقت ذاته، عن قوانين بيئته المصرية المشرقية. ففي شوارع مدينة "أصيلة" وأزقّتها، وفي ثانويّة الإمام الأصيلي، وفي كازينو إسبانيا الذي كان يتردّد عليه مع زملائه المدرّسين من المغاربة مثل شخصيّة "البقالي"، وزميليه الإسبانيّتين مثل "ميلي وكارولين"، اكتشف "عادل" أنه وحيدًا، وأن حياته مملة وباردة، وأخذ يتذكّر حياته الحميمة مع عائلته في مصر وأمكنتها القريبة إلى نفسه: "ورأى نفسه يجلس بين والديه في مصر القديمة،

جامع عمرو بن العاص، أمامه، وقطار حلوان خلفه" (الرواية، ص 162).

إن إحساس "عادل" بانتمائه الشّديد إلى وطنه مصر، وبالشّوق والحنين إليه، جعله في حالة حزن دائمة، وهذا ما لحظه عليه زملاؤه المحيطون به في المغرب، حيث "قال البقالي: عادل حزين هذه الأيام " (الرواية، ص 63).

تبدو معالم اغتراب عادل واضحة في الرّواية فهو يقول مثلًا لزميلته "ميلي" الإسبانية: "المكان سجن كئيب. الدار غرفة حبس ضيّقة. أصيلة سجن كبير"(الرواية، ص148). إن وصف "عادل" للأمكنة وللدار التي يعيش فيها في مدينة "أصيلة" بأنها سجن وحبس، وفيها كآبة وضيق، له دلالات. فهذه المعاني تتضافر لتثبت الانتماء الشديد لوطنه مصر، والشعور بالغربة في مدينة "أصيلة".

فمدينة "القاهرة" التي تبعد عن مدينة "أصيلة" عشرة آلاف كيلو متر، ويفصلها عنها وديان وصحارى وأنهار وبلدان، حسب تعبير "عادل"، تبقى قريبة من "عادل" حاضرة في وجدانه لا تفارقه، والحنين إلى الأرض التي تربّى عليها يقتله (الرّواية، ص 22)، وذهنه شارد فيها باستمرار، يفكر بمرض خطيبته "سامية" الموجودة في القاهرة، في حين أن مدينة "أصيلة" الحاضر الذي يعيش فيها "عادل" تبقى بعيدة عنه، وهو بعيد عنها روحيًا، "صمت عادل على مضض، سرح بعيدًا، لو تظهر سامية على شاشة التلفزيون! لأحسست بأنني عدت إلى القاهرة لبضع لحظات..." (الرواية، ص24). لذا، فإن "عادل" لا يستطيع التفاعل مع مدينة "أصيلة" ولا مع أهلها.

لعل شخصيّة "عادل" تمثل نموذج الشّخصيّة المغتربة المستغرقة في ذاتها، التي تتّصف بحسّ الاسترخاء في همّها الشّخصيذ الذّاتيذ، ولذلك تغفل عما يحيط بها، فهي تعيش في حالة غياب عن الواقع في مدينة "أصيلة". وعندما تعلم بخبر ترحيلها عن المغرب تفرح وتسعد، فيقول لنفسه: "ساعتان وترحل. هذا حلم! ونزل الدرج، وهو يقفز ويردّد العودة إلى الديار" (الرواية، ص 162).

يتضح مما سبق، أن المكان في رواية "أصيلا" جاء محفوفًا بدلالات ثنائية: غربة/انتماء، وحزن/فرح، وهذه دلالات روائيّة نتجت عن تحرك شخصيّة البطل "عادل" جسديًا ونفسيًا بين مكانين (المشرق والمغرب)، (القاهرة وأصيلة) اللذين يمثلان ثنائيّة (المكان الأليف والمكان غير الأليف). وأن الكاتب الرّوائيّ "جميل عطيّة إبراهيم" أسقط على المكان أبعادًا نفسية؛ بوصفه "موقعًا تتحقق فيه تجربة إنسانية في الحياة مما يكسبه هذه الكثافة النفسيّة". (لعماري ولقليظ، 2020).

إن رواية "أصيلا" لم تقتصر على الوصف الماديّ للمكان، وإنما تجاوزت الجوانب الحسيّة إلى جوانب نفسيّة، وعكست العلاقة القائمة بين الرّاوي والشّخصيّة والمكان من (تنافر وتقارب) أو (انفصال أو اتصال)، مما أضفى عليها بعدًا جماليًا، ذلك أن جمالية المكان مرتبطة بتحويل المكان من مكانيّة متجرّدة إلى دلالة، ومن مدرك حسيّ إلى مدرك نفسيّ(محادين،2001).

**المكان الأليف:**

هو المكان الذي ينتمي إليه الإنسان، وهو المكان الذي يحسّ فيه بالراحة والأمان، وهو المكان الذي يجد فيه الاطمئنان والدفء والحماية والاستقرار، وهو المكان الذي يستجيب له استجابة إيجابيّة، وهو المكان الذي يمارس فيه حرّيته كيفما شاء، وأنّى شاء حيث يتصرف على سجيّته دون تكلّف أو حرج أو خوف أو استحياء؛ "لإحساسه بالمكان ومعرفته به، حتى وكأن المكان يعرفه أيضا" (سلمان، 2018).

يرى "باشلار" أن المكان الأليف هو " ذلك المكان الذي يمنحك الإحساس بالحماية والأمن، مثل: مكان البيت الذي يجعلنا نضع أنفسنا في أصل منبع الثّقة بالعالم" (باشلار، 1984)، ولأن "قيم الألفة موزعه فيه،... فالبيت الذي ولدنا فيه محفور على نحو عادي وفي داخلنا، إنه يصبح من العادات العفوية(باشلار، 1984).

هذا لا يعني أن المكان الأليف محصور في البيت حسب، فهناك أمكنة متعدّدة ومتنوّعة تشترك مع البيت في ما تحمله من سمات الألفة؛ لأن سمة المكان غالبا ما تقترن برؤية الشخصية وشعورها نحو المكان، ومدى تأثّرها به ومدى تأثيره عليها، فالعامل النفسيّ للشّخصيّة له دور كبير في تحديد دلالات الأمكنة (هندي،1999)، من حيث الألفة أو غيرها.

وقد تجلّى المكان الأليف في رواية "أصيلا" بصورة واضحة في الوطن/الأم، مدينة القاهرة، مسقط رأس شخصيّة البطل "عادل"، حيث تظهر القاهرة من خلال ذاكرته على أنها المكان الأموميّ: "أيام. ذكريات. تجذبه إلى الماضي، بينما الحاضر مثقل بالهموم"(الرواية، ص148).

إن شخصية البطل "عادل" تعيش حاضرها/ الهموم في مدينة "أصيلة"، لكنه غائب عنها، لأنها تعيش الماضي/ الذّكريات الحاضرة دائما في مخيّلته.

عندما يعلم بترحيله وطرده من مدينة "أصيلة" يشعر بفرح يغمره، فها هو سيعود إلى مسقط رأسه وأهله وخطيبته سامية، حاملا معه الأيام التي قضاها فيها، التي ستبقى، على حد تعبير شخصيّة البطل "عادل" في الرواية، "محفورة في ذاكرتي ومغموسة في أعماقي"(الرواية، ص97).

إن الوطن بوصفه مكانًا أموميًا، ومكانًا أليفًا بالنسبة لشخصية البطل "عادل"، نجده يَمْثُل أمامه محفزًا للفرح وينبوعًا للأمان والاطمئنان وراحة نفسيّة، لحظة إخباره بطرده من "أصيلة" المغربية: "نزل عادل الدرج، في دهشة، لا يدري ماذا حدث، وقال لنفسه: ربما وقعت أشياء خطيرة في مصر. هل ماتت سامية، أم قطعت العلاقات بين البلدين؟ وعندما دار برأسه الخاطر الأخير، أحسّ بفرح عظيم، للعودة إلى بلده، مصر..... فهم عادل كل

شيء. اتّضحت الصورة كاملة. إنه قرار طرد من الأراضي المغربيّة، دلف إلى حجرة النوم في فرح، صاح في سنيوريتا ميلي، قال: إنه سوف يسافر إلى مصر،..." (الرواية، ص 161)

إن مدينة القاهرة المكان الأليف، في رواية "أصيلا"، تنسجم مع شخصيّة البطل "عادل"، وتعيش فيه بذاكرتها ولا يفارقها؛ حيث يبعث هذا المكان الأليف راحة نفسيّة لشخصية البطل "عادل" في ظل عيشه المقيت في مدينة "أصيلة". فهي تمثّل له واحة للحرّية والثّقافة والحضارة والتاريخ، والمعرفة، ويحلم بالعودة إلى القاهرة، وحي الحسين، وميدان الأوبرا، ومكتبة الفن، وأهرامات الجيزة، منيل الروضة، وأمسيات الصّيف بالقرب من كوبري الجامعة، والجلوس بين والديه في مصر القديمة، وجامع عمرو بن العاص أمامه، وقطار حلوان خلفه(الرّواية، ص148 و162). وتصف الرواية "مدينة القاهرة" على لسان الراوي العليم بأنها "مدينة كبيرة مترامية الأطراف، وواسعة الأرجاء(الرّواية، ص25)، تتسم بالصخب وبضجيج القطارات وزحمة المواصلات والانحشار في الأتوبيس، والأصوات المرتفعة والحركة وما إلى ذلك(الرّواية، ص53). فهذه المدينة الكبيرة الصاخبة يحنّ إليها دائما"عادل". لذا، نجده يصرّ دائما الذهاب إلى محطة القطار خارج بلدة "أصيلة"، فيقول له "البقالي":"لازلت تحن إلى القاهرة، تحبّ ضجّة القطارات وزحمة المواصلات"(الرواية، ص53).

**المكان غير الأليف (المعادي):**

هو المكان الذي لا ينتمي إليه الإنسان، وهو المكان الذي ينفر منه، وهو المكان الذي ينظر إليه نظرة سلبيّة، وهو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بأنه مقيّد، وهو المكان الذي يبعث لديه مشاعر الخوف والقلق والضيق، وهو المكان الذي ينعدم فيه الانسجام، وهو المكان الذي يثير نحوه العداء والكراهيّة، إنه المكان "غير الأثير الملقى خارج النفس"، (نعاس، 2014).

إن وصف المكان بأنه غير أليف ومعادٍ، إنما يعد وصفًا لحالة نفسيّة شعوريّة يعيشها الإنسان في هذا المكان نتيجة معاناته فيه، سواء أكانت معاناة ماديّة أو معنويّة (سلمان،2018).

تتعدد الأمكنة غير الأليفة وتتنوع، ومن هذه الأمكنة تكون الإقامة فيها جبريّة كالسجن والمعتقل، ومنها تكون الإقامة فيها اختياريّة كأمكنة المنفى وأمكنة الغربة وأمكنة المهجر.وتمثل مدينة "أصيلة" في الرّواية المكان غير الأليف لشخصيّة البطل "عادل"، ولجميع الشّخصيّات المغربيّة والأجنبيّة الأخرى الموجودة في الرّواية. تبدأ الرواية بهذه الفقرة التي يصف فيها الراوي العليم علاقة شخصية البطل عادل أستاذ الرّياضيّات المصريّ بمدينة "أصيلة": " الهدوء يعمّ الطريق المؤدّي إلى وسط المدينة،... وقف عادل في الشرفة،... الملل يملأ قلبه من المعيشة بمفرده في مدينة أصيلة بعيدًا عن أهله... كان قد أمضى ليلة طويلة مليئة بالتّرقب و القلق..."(الرواية، ص9و11).

إن حالة الشعور بالوحدة والتّرقب والقلق التي يعيشها "عادل" في مدينة "أصيلة" تتأكّد في أكثر من موضع في الرواية، فمثلا في حديثه مع زميلته في التّدريس سنيوريتا ميلي جارسيا الإسبانيّة يقول: "عندما أعود إلى المنزل في المساء وأوصد الباب الخارجي بالمزلاج وأدلف إلى الشقة السابحة في الظلام أحس برهبة الوحدة ووحشة الصمت الكئيب"(الرواية، ص21). إن عادل الذي اعتاد على مكان يتسم بالضّجيج والصخب، يصعب عليه أن يألف مكانًا جديدًا هادئًا، إذ يشعر بشيء من الغربة والوحدة والملل، مما ينعكس ذلك على نفسيّته، " قد يؤدي التغيير في المكان إلى التغيير في الشخصية، وقد يختلف التغيير باختلاف المكان الجديد فإما أن يكون تأثيره سلبا أو إيجابا، ولعل الانتقال فجأة من مكان مألوف للشخصية إلى غير مألوف يؤدي إلى تحول في مسار الشخصية، فقد يولد المكان الجديد في نفس الشخصية نفورا و كرها و خوفا من المستقبل" (الكساسبة، 2006). إن هذا الشعور بالملل والوحدة لا يسيطر على عادل وحده، بل يسيطر على جميع شخصيّات الرّواية المثقّفة في أصيلة: الإسبانيّة منها والمغاربيّة، فها هي سنيوريتا ميلي جارسيا تعقّب على كلام عادل بقولها: "عندما يجتمع الصمت و الظلام في مكان واحد.. أحس بأنني غرقت في المحيط، ابتلعني اليمّ"(الرواية، ص22). وتُؤمّن صديقتهما الإسبانيّة سنيوريتا كارولينا على كلامهما، قائلة: "الملل يجعل حياتنا خاوية في أصيلة"(الرواية، ص87). كذلك صديقهم المغربيّ البقاليّ، ابن فقيه المدينة، الذي درس في القاهرة مدة طويلة يشعر كذلك بالوحدة في أصيلة، فالراوي يصف الأربعة وهم يسيرون في صمت: "أربعة ظلال تتلاقى وتتباعد على الرّمال الناعمة، بينما كل منهم يحسّ بالوحدة، على الرغم من تشابك الأيدي و تلاصق الظّلال"(الرواية، ص88).

فعلى الرغم من تعدّد الشّخصيّات الرّوائيّة في الرواية، فإننا نجد أن رؤيتها بالنسبة لموقفها من مدينة "أصيلة" واحدة، فهي تتفق ورؤية الشّخصيّة المحوريّة "عادل"، التي تنطق بأفكار الكاتب، وفي النهاية تصب هذه الرؤية باتجاه رؤية الكاتب/ الراوي العليم؛ إن هذا الاتساق في الرؤية جعل الطابع الذاتيّ للرواية يغلب على الطابع الموضوعيّ؛ إذ يأتي معظم وصف المدينة عبر المصفاة النفسيّة للشّخصيّات، فتصل إلينا رؤية ذاتيّة تعبّر عن حالة الاغتراب التي كان يعيشها البطل أو الراوي أو الكاتب، وهكذا تتداخل السّيرة الذاتيّة مع التخييل الرّوائيّ داخل المتن الرّوائيّ؛ ذلك أن الرواية هي ثمرة تجربة حقيقيّة للكاتب مع هذه المدينة. و بناء على ذلك، وبعدّ الكاتب هو وراء الشخصيات التي تقّدمها الرواية، حيث كان أبطالها من المثقفين، فهي تصلح لتقديم مقولات ورؤى تتعلق بصورة مدينة "أصيلة" المكان المغربي، هي أصلا رؤى للكاتب نفسه. تصف الرواية مدينة "أصيلة" على لسان الرّاوي ومعظم الشخصيات الرّوائيّة، في أكثر من موضع، بأنها مدينة صغيرة نائمة، وبتعبير آخر، هاجعة قرب البحر(الرّواية، ص27و48)، أو ناعسة(الرّواية،

ص155). يظهر عليها الهدوء والسكون، وعلى أهلها الاستكانة(الرّواية، ص27)، فلا حراك ولا نشاط فيها، مدينة يسودها الخوف من الحرب التي نشبت على الحدود بين الجزائر والمغرب، وقد جاء على لسان الرّاوي العليم أنها: "مدينة بلا روح، تنّين ضخم جائع، له ثلاثة عشر ألف فم يبحث عن الطعام... في كل دار وكل شقّ، يتلوى التنّين، يعربد ويبكي، ويضحك، تنبعث منه أصوات متباينة، ومشاعر مختلفة، ثم يهمد ويتمطّى وتخمد الأنفاس وتنعس المدينة" (الرواية، ص83). إن هذا الوصف يكشف عن دلالات عما تعاني منه هذه المدينة من فقر وجوع وبؤس، وتفاوت طبقيّ، فتبدو المدينة بهذا الوصف بالنسبة للرّاوي والشّخصيّات الرّوائيّة أقرب إلى المكان غير الأليف مكان النفور والكراهيّة (المكان المعادي).

وقد جاءت مدينة "أصيلة"، المكان والحالة السياسيّة والحالة الاجتماعيّة، في الرّوايّة حاضرة، من خلال سلوك الشّخصيّات الرّوائيّة المغربيّة والأجنبيّة، بوصفها فضاء للعهر والدعارة (رقية وآسيا)، والشذوذ الجنسي (سميث الإنجليزيّ)، والخيانة الزوجيّة (للامنّانة زوجة الخالدي)، وخيانة الوطن والتهريب وبيع المبادئ والأخلاق (الخالدي الفاسيّ)، ونسيان الهموم وإفراغها في الكأس والجنس (الحسّاني والعسكريّ الهارب من الحرب)، وغيرها من المظاهر السلبيّة العديدة، التي لا توازي على الإطلاق الصور التي يمكن وصفها بالإيجابيّة (السوسي والمحمدي وسي محمد)، حيث تصبح صورة مدينة "أصيلة" في الرّواية فضاء للانتقاد والإدانة من غالبية الشّخصيّات الرّوائيّة. فها هو الحسّاني يدين هدوء مدينة "أصيلة": "يا أصيلة قاتل الله الهدوء الناجم عن استكانة البشر... أما أنت يا أصيلة فنائمة، هاجعة في صمت، البشر يسيرون كأن قبضة الريسولي مازالت برقابهم، وكأن سيفه لازال معلقًا فوق رؤوسهم. لعنة الله على استكانة البشر"(الرواية، ص27)، "فتبا لك يا أصيلة من الأشراف تبا لك"(الرواية، ص29).

إن مدينة "أصيلة"، كما تصوّرها رواية جميل عطيّة إبراهيم من خلال الشّخصيّات الرّوائيّة، تعكس الحالة النفسيّة الكبيسة التي هيمنت على الراوي العليم/ الكاتب، التي جعلته يرجّح صور القتامة مع استثناءات قليلة (أنقار،2017).

تعدّ مدينة "أصيلة" بالنسبة لشخصية البطل "عادل" المكان - الضّد لمدينة القاهرة، فإذا كانت "القاهرة" واحة للحرية والحياة في نظر "عادل"، فإن "أصيلة" تمثل سجنًا كبيرًا لعادل، حيث يقول: "المكان سجن كئيب. الدار غرفة حبس ضيّقة. أصيلة سجن كبير"(الرواية، ص148). وفي هذا السياق تبدو أصيلة المدينة الصغيرة الهادئة، في السّتينيّات، مكانًا أبويًا، ومكانًا باردًا، على نحو يُنظر إليه على أنه مكان مفروض ومرفوض من شخصيّة البطل "عادل"، ففيها لايتحقّق الانسجام و التّوافق النفسيّ والمعنويّ، ويودّ الفكاك منها، والعودة إلى الوطن المكان الأموميّ(مدينة القاهرة الوطن)؛ ذلك أن ارتباط الشّخصيّة بالمكان إنما هو ارتباط روحيّ له دلالاته الماديّة والمعنويّة التي لا يمكن التغاضي عنها، فالمكان المعادي نقيض للمكان الأليف، يشعر الإنسان نحوه بانعدام التآلف والانتماء إليه.

هكذا، لقد حاول جميل عطيّة إبراهيم في روايته هذه، أن يقدّم مدينة "أصيلة" من وجهة نظره، عبر الرّاوي العليم/ الكاتب، والرّاوي المشارك/ الشّخصيّة المحوريّة(الأستاذ عادل)، حيث ارتبطت المدينة بتاريخ الكاتب الذاتي والنفسي، فكان أن استوحاها بصورة قاسية وسوداويّة في عمله الرّوائيّ هذا.

**الخاتمة:**

بعد أن انتهينا من دراسة ثنائيّة المكان في رواية "أصيلا" للكاتب الرّوائيّ المصريّ جميل عطيّة إبراهيم، ووضحت لنا طبيعة العلاقة القائمة بين الرّاوي/الكاتب والشخصيّة الرّوائيّة والمكان الرّوائيّ، ودورها في تكوين الفضاء الرّوائيّ، وما نتج عن هذه العلاقة من ثنائيّة مكانيّة قائمة على المكان والمكان المضاد، توصّلنا إلى النتائج الآتية:

1. رواية "أصيلا" رواية تحتفي بالمكان بامتياز، حيث شغل المكان فيها حيزًا بارزًا لا في افتتاحيّتها وفي متنها حسب، بل في عتبات الرّواية من عنوان وإهداء وتنويه؛ مما يدلّ على أهميّة المكان في هذه الرواية.
2. مدينة "أصيلة" المغربيّة البطل الرئيس في الرّواية.
3. تجلّى المكان الرّوائيّ في رواية "أصيلا" لمعالجة اللقاء الثقافي بين المشرق والمغرب.
4. اعتمد الكاتب الرّوائيّ جميل عطيّة إبراهيم في روايته "أصيلا" على تقنية ثنائيّة المكان القائمة على مبدأ التّضاد من خلال إبراز ثنائيّة المكان المعادي(غير الأليف) والمكان المألوف.
5. شكّلت الثّنائيّة المكانيّة في رواية "أصيلا" مرتكزًا مهمًا في تقديم رؤية الكاتب وموقفه من العالم.

## المصادر والمراجع


إبراهيم، ج. (1980). *أصيلا*. (ط1). دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

إبراهيم، ع. (2008). *موسوعة السرد العربي*. (ط1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

إبراهيم، ن. (1980). *نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية*. الرياض: النادي الأدبي.

ابن فارس، أ. (د.ت). *معجم مقاييس اللغة*. الأردن: دار الفكر، مادة ثني.

أنقار، م. (2017) التصوير المفارق في رواية نخلة على الحافة لجميل عطية إبراهيم. *الكتاب العربي الإلكتروني* . https://www.arabworldbooks.com/ar/e-zine /

إيلاف. (2020). رحيل الكاتب المصري جميل عطية إبراهيم. https://elaph.com/Web/Culture/2020/04/1288434.html.

باشلار، غ. (1984). *جماليات المكان*. (ط2). بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر.

بحراوي، ح. (1990). *بنية الشكل الروائي*. (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

بورنوف، ر. وأوئيليه، ر. (1991). *عالم الرواية*. (ط1). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

حبيلة، ش. (2010). *بنية الخطاب الروائي: دراسات في روايات نجيب الكيالي*. (ط2). عمان: عالم الكتب الحديثة.

الحمداني، ب.، وعبوس، ج. (2014). التقاطبات المكانية في قصص "هواتف الليل" لبشرى بستاني. *مجلة آداب الرافدين، العراق*، 69، 278.

حمداوي، ج. (1997). السيميوطيقيا. *مجلة عالم الفكر، الكويت*، 3(25)، 98.

حنفي، ح.، والجابري م. (1990). *حوار المشرق والمغرب: نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي*. (ط1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

خضر، خ. (د.ت). المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر. *مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد*، (102)، 122.

خليل، أ. (1995). *معجم المصطلحات اللغوية*. (ط1). بيروت: دار الفكر العربي.

زورة، ع. (2018). *شعرية الفضاء في النقد الروائي المغاربي المعاصر(المفهوم والتحولات)*. (ط1). عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

سلمان، س. (2018) التقاطب المكاني في رواية (أولاد اليهودية). *مجلة آداب الفراهيدي*، 2(34)، 7.

شولز، ك. (1996). *الوجود والفضاء وفن العمارة*. بغداد: مطبعة الديب البغدادية.

صحيفة الخليج. (2008). حوار مع جميل عطية إبراهيم. *صحيفة الخليج*. https://www.alkhaleej.ae/node/pdf/87262/pdf.

عبد الرحيم، م. (2020) ثلاثية الروائي جميل عطية إبراهيم، محاولة فهم ما جرى. *موقع القدس العربي الإلكترونية*. https://www.alquds.co.uk.

عبد الناصر، و. (2020). جميل عطية إبراهيم بين جيل الستينيات وأدب المنفى. *موقع الشروق الإلكترونية*.

عفيف، ح.، وزموري، م. (2019). *التقاطبات المكانية في رواية "فسوق" لعبده خال. رسالة ماجستير غير منشورة*، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر.

العوفي، ن. (1987). *مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية من التأسيس إلى التجنيس*. (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

القصاص، ج. (2020). جميل عطية إبراهيم. موقع الشرق الأوسط الإلكترونية.

https://aawsat.com/home/article/2232366

https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=21042020&id=2d4f65df-fa26-4b91-957a-e4f96fe95eee

الكساسبة، ع. (2006). *تجربة سليمان القوابعة الروائية*. (ط1). الأردن: مطبعة اليازوري.

لعماري، س.، ولقليظ، س. (2020). *ثنائية المكان في رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم. رسالة ماجستير غير منشورة*، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

محادين، ع. (2001). *جدلية المكان والزمان والإنسان*. (ط1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

محمود، ع.، وعباس، ف. (2020). الثنائية الضدية في قصص حيدر حيدر، ثنائية المكان المغلق والمكان المفتوح أنموذج. *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سوريا*، 1(32)، 122.

مرتاض، ع. (1998). *في نظرية الرواية*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ملكي، ر. (2012). التقاطب المكانيّ في قصائد محمود درويش الحديثة. *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانية بالتعاون مع جامعة تشرين السورية*، 9(3)، 58.

نجمي، ح. (2000). *شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية*. (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

نعاس، و. (2014). *المكان والزمان في النص الأدبي: الجماليات والرؤيا*. (ط1). دمشق: دار تموز.

نقار، ق. (2021). التقاطب المكاني ودلالاته في رواية "أصابع الاتهام" لجميلة زنير. *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر*، 3(13)، 393 - 394.

هندي، ح. (1999). *المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي. رسالة ماجستير غير منشورة*، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 48.

هياس، خ. (2010). *القصيدة السيرذاتية: بنية النص وتشكيل الخطاب*. (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

يوري، ل. (1988). مشكلة المكان الفني. (ط2). الدار البيضاء: عيون المقالات.

**References**


Abd Al Naser. (2020). Jamil Attia Ibrahim between the generation of the sixties and the literature of exile. *Al-Shorouk electronic*.
https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=21042020&id=2d4f65df-fa26-4b91-957a-e4f96fe95eee.

Abd Al Rahim, M. (2020). The novelist Jamil Attia Ibrahim's trilogy, an attempt to understand what happened. *Al-Quds Al-Arabi electronic*. https://www.alquds.co.uk/

Afif, H., & Zmori, M. (2019). *Spatial polarizations in Abdo Khal's novel "Corruption". MA thesis*, Algeria, Al Arabi Ben M'hidi University.

Al Awfi, N. (1987). *Approaching reality in the Moroccan short story from foundation to naturalization*. (1st ed.). Casablanca: Arabic Culture Center.

Al Hamadani, B., & Abous, J. (2014). Spatial polarizations in the stories of "Night Phones" by Bushra Boustany. *Al-Rafidain Literature Magazine, Al Iraq*, 278.

Al Kasabih. A. (2006). *Suleiman Al-Qawabah's novel experience*. (1st ed.). Al Yazori Press.

Al Omari, S. & Lakith, S. (2020). *The duality of place in the novel "A Bird from the East" by Tawfiq Al-Hakim. MA thesis*, Mohamed Boudiaf University, Al-Masila, Algeria, 42.

Al Qisas, J. (2020). Jamil Attia Ibrahim. *Electronic Middle East*. https://aawsat.com/home/article/2232366/

Ankar, M. (2017). Paradoxical photography in the novel Palm on the Edge by Jamil Attia Ibrahim. *Arab Book Forum website*. Retrived from https://www.arabworldbooks.com/ar/e-zine/.

Bahrawi, H. (1990). *The structure of the narrative form*. (1st ed.). Beirut: Arab Cultural Center.

Bashlar, Gh. (1984). *The Beauty of Place*. (2nd ed.). Beirut: University Publishing Corporation.

Bornof, R, & Awelih, R. (1991). *The Novel World*. (1st ed.). Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Habila, Sh. (2010). *The structure of the narrative discourse: Studies in the novels of Naguib Kayyali*. (2nd ed.). Amman: Recent Books World.

Hamadwi, J. (1997). *Semiotics*. Kuwait: World of thought magazine.

Hanafi, H., & Al Jabri, M. (1990). *The Dialogue between the East and the West. Towards rebuilding an Arab nationalist thought*. (1st ed.). The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Hayas, Kh. (2010). *The autobiographical poem: text structure and discourse formation*. (1st ed.). Jordan: Recent Book World, p. 257.

Hindi, H. (1999). The place in the novels of Abdul Rahman Majid Al-Rubaie. *MA- College of Education, Al-Mustansiriya University*, 48.

Ibn Faris, A. (n.d). *Dictionary of language standards*. Jordan: Dar Al Fikir.

Ibrahim, A. (2008). *Encyclopedia of Arabic Narration*. (1st ed.). Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Ibrahim, J. (1980). *Publications of the Ministry of Culture and National Guidance.* (1st ed.). Damascus.

Ibrahim, N. (1980). *Criticism of the novel from linguistic studies perspective*. Al Riyadh: Literary Club.

IElaf. (2020). The Death of the Egyptian writer Jamil Attia Ibrahim. Retrieved from https://elaph.com/Web/Culture/2020/04/1288434.html.

Khader, Kh. (n.d). The place in the novel Al-Sham`iyyah by the novelist Abdel-Sattar Nasser. *Journal of the Faculty of Arts, Baghdad University*, 102, 122.

Khalil, A. (1995). *Dictionary of linguistic terms*. (1st ed.). Beirut: Arab Thought House.

Mahadin, A. (2001). The dialectic of space, time, and human. (1st ed.). Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Mahmoud, A., & Abbas, F. (2020). The opposite duality in the stories of Haider Haider, the duality of the closed place and the open place as a model. *Journal for Research and Scientific Studies, Syria*, 32(1), 122.

Malki, R. (2012). Spatial Polarization in Mahmoud Darwish's Modern Poems. *Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Semnan University of Iran in cooperation with the Syrian Tishreen University*, 3(9), 58.

Mortad, A. (1998). *The theory of the novel*. Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Literature.

Nijme, H. (2000). *The Poetics of Imaginary Space and Identity in the Arabic Novel*. (1st ed.). Beirut: Arab Cultural Center.

Nikar, K. (2021). Spatial polarization and its implications in the novel "Fingers of Accusation" by Jamila Zaneer. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature*, 13(3), 393 & 394.

No'as, W. (2014). *Place and time in the literary text, aesthetics, and vision.* (1st ed.). Damascus: Dar Tamoz.

Salman, S. (2018). Spatial polarization in the novel (The Children of Judaism). *The Literature of Al Farahidi Magazine*, 2(34), 7.

Sholz, K. (1996). *Existence, space, and architecture*. Baghdad: Al Deeb Al Baghdadiyah Press.

The Gulf Magazine. (2008). *A dialogue with Jamil Attia Ibrahim*. Retrieved from https://www.alkhaleej.ae/node/pdf/87262/pdf

Youri, L. (1988). *The problem in Aesthetic Place. Trans: Seza Qasem*. (2nd ed.). Casablanca: The Articles Ouoon.

Zoura, A. (2018). *The Poetics of Space in Contemporary Maghreb Novelist Criticism (Concept and Transformations)*. (1st ed.). Amman: Academic Book Center.